قصـــص الرحـــالة

— ٦ —

دريك يجول حول العـــالم

« أُسْعِدْتُمْ صَبَاحاً يَا أَبْنَائِي . أَنَا فرنسيس دريك (Francis Drake) وَقَدْ وُلِدْتُ بِإِنجِلْتِرَا فِي مُقَاطَعَةِ دِيفُنشَيْرْ وَكَانَ وَالِدِي فَلَّاحاً . أَمَّا أَنَا فَقَدْ كُنْتُ مُغْرَماً بِالْأَسْفَارِ مِنْ صِغَرِي . وَقَدِ اشْتَغَلْتُ بَحَّاراً مِنْ سِنِّ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ ؛ وَقَضَيْتُ حَيَاتِي كُلَّهَا فِي الْبَحْرِ .

فرنسيس دريك

وَفِي أَوَاسِطِ نُوفِمْبَرَ سَنَةَ ١٥٧٧ أَبْحَرْتُ مِنْ بليمث (Plymouth) عَلَى رَأْسِ خَمْسِ سُفُنٍ وَ ١٦٤ رَجُلاً ، لِلْقِيَامِ بِرِحْلَةٍ حَوْلَ الْعَالَمِ . وَقَدْ صَادَفَتْنَا فِي بَدْءِ رِحْلَتِنَا ، عَوَاصِفُ غَايَةٌ فِي الشِّدَّةِ ، اضْطَرَّتْنَا بِسَبَبِهَا لِلرُّجُوعِ إِلَى بليمث لِإِصْلَاحِ السُّفُنِ .

وَفِي مُنْتَصَفِ دِيسِمْبَرَ بَدَأْنَا رِحْلَتَنَا مِنْ جَدِيدٍ وَكَانَتْ تَهُبُّ فِي طَرِيقِنَا الرِّيَاحُ الشَّمَالِيَّةُ الشَّرْقِيَّةُ ؛ فَسِرْنَا بِسَلَامٍ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى سَاحِلِ مُرَّاكِشَ بَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ . وَفِي مَكَانٍ مِنْ ذَلِكَ السَّاحِلِ ، يُدْعَى مُوجَادُورَ (Mogador) وَجَدْنَا مِينَاءً أَمِيناً ، يَصْلُحُ بِطَبِيعَةِ مَوْقِعِهِ ، لِإِيوَاءِ السُّفُنِ ، فَضَيَّنَا فِيهِ شَهْراً ؛ وَحَصَلْنَا بِطَرِيقِ الْمُبَادَلَةِ ، عَلَى غَنَمٍ وَدَجَاجٍ ، مُقَابِلَ (قُمَاشٍ) وَأَحْذِيَةٍ . وَاسْتَأْنَفْنَا السَّيْرَ بِجَانِبِ السَّاحِلِ الْإِفْرِيقِيِّ ، فَوَصَلْنَا إِلَى رَأْسِ الْجَزَائِرِ الْخَضْرَاءِ حَيْثُ اسْتَرَحْنَا بِضْعَةَ أَيَّامٍ أَكَلْنَا فِي أَثْنَائِهَا ، عِنَباً نَاضِجاً شَدِيدَ الْحَلَاوَةِ .

وَبَعْدَ أَنْ مَرَرْنَا فِي طَرِيقِنَا بِكَثِيرٍ مِنْ تِلْكَ الْجَزَائِرِ ، بَدَأْنَا نَعْبُرُ الْمُحِيطَ الْإِطْلَانْطِيقِيَّ . وَالرِّيَاحُ الشَّمَالِيَّةُ الشَّرْقِيَّةُ تَهُبُّ مِنْ خَلْفِنَا ، فَتُسَهِّلُ عَلَيْنَا السَّيْرَ . وَوَاصَلْنَا السَّفَرَ جَنُوباً ؛ مُدَّةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ يَوْماً ، مِنْ دُونِ أَنْ نَرَى الْأَرْضَ . وَأَخِيراً وَصَلْنَا إِلَى سَاحِلِ الْبَرَازِيلِ ، حَيْثُ هَبَّتْ

عَلَيْنَا رِيَاحٌ عَكْسِيَّةٌ شَدِيدَةٌ ، عَطَّلَتْ سَيْرَنَا ، وَفَرَّقَتْ سُفُنَنَا . فَاضْطُرِرْنَا لِلِالْتِجَاءِ إِلَى نَهْرِ «بْلاَتَا» الْعَظِيمِ ، اتِّقَاءً لِلْخَطَرِ وَالْتِمَاسًا لِلْمَاءِ الْعَذْبِ .

ثُمَّ اسْتَأْنَفْنَا السَّيْرَ جَنُوبًا ، وَكَانَ الْبَرْدُ يَزْدَادُ شِدَّةً كُلَّ يَوْمٍ . وَظَلَّتِ الْعَوَاصِفُ تُهَدِّدُنَا سِتَّةَ

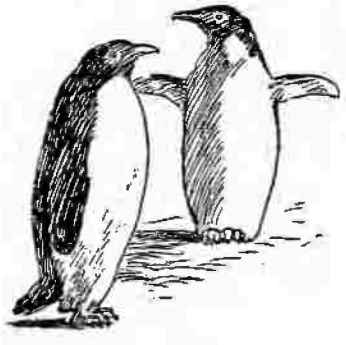

الطيور القطبية

أَسَابِيعَ كَامِلَةٍ ، وَفِي ٢٠ يونيه سنة ١٥٧٨ وَصَلْنَا إِلَى مِينَاءِ حَصِينٍ عَلَى سَاحِلِ «بَاتَاجُونْيَا» يُدْعَى «سَنْتْ جُولْيَـــانْ» (Saint Julian) ؛ حَيْثُ اسْتَرَحْنَا مُدَّةَ شَهْرَيْنِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ أَبْحَرْنَا جَنُوبًا قَاصِدِينَ بُوغَازَ «مَاجِلاَنَ» ، فَوَصَلْنَا إِلَيْهِ بَعْدَ بِضْعَةِ أَيَّامٍ . وَاجْتَزْنَاهُ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ . وَكَانَ الْبُوغَازُ مَحْصُورًا مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، بِأَرْضٍ جَبَلِيَّةٍ عَالِيَةٍ جِدًّا ، تُغَطِّيهَا الثُّلُوجُ عَلَى الدَّوَامِ . وَكَانَ الْبَرْدُ قَارِسًا وَالثَّلْجُ يَتَسَاقَطُ بِلاَ انْقِطَاعٍ .

وَقَدْ وَجَدْنَا ، فِي إِحْدَى جَزَائِرِ الْبُوغَازِ ، كَمِّيَّةً هَائِلَةً مِنَ الطُّيُورِ الْقُطْبِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ (Penguins) . وَهِيَ فِي حَجْمِ الْإِوَزِّ وَلاَ تَطِيرُ وَقَدْ قَتَلْنَا مِنْهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، ثَلاَثَةَ آلاَفٍ ، اخْتَزَنَّاهَا لِطَعَامِنَا .

وَلَقَدْ اجْتَزْنَا الْبُوغَازَ فِي سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا ، دَخَلْنَا فِي نِهَايَتِهَا إِلَى الْمُحِيطِ الْهَادِي ! (وَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هَادِئًا ، عِنْدَ مَا وَصَلْنَا إِلَيْهِ .) وَمَا كِدْنَا نَبْدَأُ بِالسَّيْرِ شَمَالاً فِي هَذَا الْمُحِيطِ ، حَتَّى هَبَّتْ عَلَيْنَا عَاصِفَةٌ مُرِيعَةٌ . أَغْرَقَتْ إِحْدَى سُفُنِي بِمَنْ عَلَيْهَا ، وَاضْطُرَّتْ أُخْرَى لِلْعَوْدَةِ إِلَى إِنْجِلْتِرَا ، وَدَفَعْتُ بِالْبَاقِي إِلَى الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ خِلاَلِ عِدَّةِ جَزَائِرَ .

وَعَلَى هَذَا الْحَالِ قَضَيْنَا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ يَوْمًا فِي خَطَرٍ مِنَ الْعَوَاصِفِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ . حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى بَعْضِ الْجَزَائِرِ ، حَيْثُ رَسَوْنَا بِمَا بَقِيَ مِنْ سُفُنِنَا ، فِي انْتِظَارِ الْفُرْصَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِاسْتِئْنَافِ السَّيْرِ . وَقَدْ وَجَدْنَا مَاءً عَذْبًا جَمِيلاً وَشَاهَدْنَا سَفَنًا صَغِيرَةً مَمْلُوءَةً رِجَالاً وَنِسَاءً عُرَاةً عُرْيًا تَامًّا ! ! أَمَّا كَيْفَ يَتَحَمَّلُ هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ الْبَرْدَ الشَّدِيدَ ، وَهُمْ عَلَى هَذَا الْحَالِ ، فَهُوَ مَا لاَ أَسْتَطِيعُ فَهْمَهُ .

وَلَمَّا هَدَأَتِ الزَّوَابِعُ قَلِيلا ، اسْتَأْنَفْنَا السَّيْرَ شَمَالاً فِي مُحَاذَاةِ الشَّاطِىءِ الْغَرْبِيِّ لأَمِرِيكَا الْجَنُوبِيَّةِ . وَقَدْ كُنَّا عَلَى عِلْمٍ بِأَنَّ الأَسْبَانِيِّينَ يُرَاقِبُونَ هٰذَا الشَّاطِىءَ ، وَأَنَّهُمْ سَيَتَحَيَّنُونَ الْفُرْصَةَ لِلإِيقَاعِ بِنَا فَكُنَّا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِمُحَارَبَتِهِمْ بِمَدَافِعِنَا .

وَكُنَّا كُلَّمَا سِرْنَا شَمَالا ، ازْدَادَ الْجَوُّ دِفْئاً ؛ وَذَاتَ يَوْمٍ رَسَوْنَا عَلَى الْبَرِّ ، طَلَباً لِلْمَاءِ ؛ وَهُنَاكَ قَابَلْنَا أَسْبَانِيّاً وَوَلَداً مِنْ هُنُودِ أَمِرِيكَا الْجَنُوبِيَّةِ ، يَسُوقَانِ قَطِيعاً صَغِيراً مِنَ « اللاما » (Llama) وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْغَنَمِ فِي حَجْمِ الْحِمِيرِ . وَكَانَ عَلَى ظَهْرِ كُلٍّ مِنْ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ ، قِرْبَتَانِ مِنَ الْجِلْدِ فِي كُلٍّ مِنْهُمَا خَمْسُونَ رِطْلاً مِنَ الْفِضَّةِ (الْخَامِ) ؛ اسْتَحْوَذْنَا عَلَيْهَا جَمِيعِهَا .

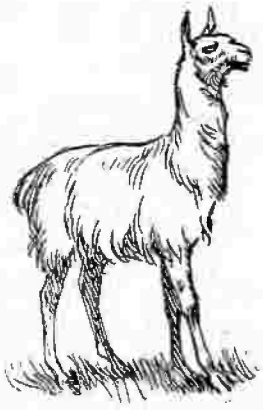
اللاما

ثُمَّ سِرْنَا شَمَالا ، فَدَخَلْنَا فِي نِصْفِ الْكُرَةِ الشَّمَالِيِّ ؛ وَبَعْدَهَا صَمَّمْتُ عَلَى أَنْ أَعْبُرَ الْمُحِيطَ الْهَادِيَ ، وَأَعُودَ إِلَى إِنْجِلْتِرَا عَنْ طَرِيقِ « رَأْسِ الرَّجَاءِ الصَّالِحِ » فَأَوَيْتُ إِلَى مِينَاءٍ فِي الطَّرِيقِ لإِصْلاحِ سُفُنِي الْبَاقِيَةِ ، وَأَخَذَ الْهُنُودُ يَزُورُونَنَا وَيُقَدِّمُونَ لَنَا الْهَدَايَا مِنَ الرِّيشِ الثَّمِينِ وَالطِّبَاقِ . وَأَلْقَى وَاحِدٌ مِنْهُمْ خُطْبَةً طَوِيلَةً لَمْ نَفْهَمْ مِنْهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً بِالطَّبْعِ . وَكَانَ الْمَلِكُ نَفْسُهُ بَيْنَ الَّذِينَ حَضَرُوا ؛ وَكَانَ يَسِيرُ أَمَامَهُ رَجُلٌ طَوِيلُ الْقَامَةِ ، يَحْمِلُ عَصاً ، يَتَدَلَّى مِنْهَا تَاجَانِ ، أَحَدُهُمَا أَصْغَرُ مِنَ الآخَرِ ، تَرْبُطُهُمَا سَلاسِلُ طَوِيلَةٌ . وَقَدْ رَقَصَ الْهُنُودُ وَغَنَّوْا كَثِيراً . أَمَّا الْمَلِكُ فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنِّي ، وَوَضَعَ تَاجَهُ عَلَى رَأْسِي ، وَنَادَى بِي مَلِكاً عَلَى الْبِلادِ .

وَلَمْ يَكُنْ فِي اسْتِطَاعَتِي أَنْ أُفْهِمَهُ أَنِّي لا أَرْغَبُ فِي حُكْمِ بِلادِهِ . عَلَى أَنَّهُ فَهِمَ ذٰلِكَ بَعْدَ قَلِيلٍ ؛ لأَنَّهُ رَآنَا نَسْتَعِدُّ لِلرَّحِيلِ : وَعِنْدَ قِيَامِنَا فِي الأُسْبُوعِ الأَخِيرِ مِنْ يوليه سنة ١٥٧٩ ، وَدَّعْنَا الأَهَالِي وَدَاعاً حَارّاً ؛ وَرَجَوْنَا أَلاَّ يَنْسَاهُمْ . وَكَانُوا يَصْعَدُونَ إِلَى قِمَمِ الْجِبَالِ لِيَرَوْنَا وَنَحْنُ نَبْتَعِدُ عَنْهُمْ .

وَاجْتَزْنَا الْمُحِيطَ الْهَادِيَ بَعْدَ سَفَرٍ دَامَ ثَمَانِيَةً وَسِتِّينَ يَوْماً وَوَصَلْنَا إِلَى جَزَائِرِ الْفِلِبِّينِ ، وَفِي ١٤ نُوفَمْبَرَ وَصَلْنَا إِلَى جَزَائِرِ الْبُهَارِ . وَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ بِقُدُومِنَا ، حَضَرَ لِزِيَارَتِنَا عَلَى الْفَوْرِ : وَقَدْ أَقْبَلَ تَتَقَدَّمُهُ أَرْبَعُ سُفُنٍ كَبِيرَةٍ جَلَسَ فِيهَا بَعْضُ أَعْيَانِ

البِلادِ بِمَلابِسِهِمِ البَيْضاءِ، تَتبَعُهَا قَوارِبُ كَثِيرَةٌ تَحْمِلُ الجُنْدَ، بِسُيُوفِهِمْ، وَقِسِيِّهِمْ، وَسِهَامِهِمْ ثُمَّ سَفِينَةُ المَلِكِ الَّذِي كَانَ عَارِيَ القَدَمَيْنِ، حَوْلَ رَقَبَتِهِ سِلْسِلَةٌ ذَهَبِيَّةٌ، وَتَتَدَلَّى مِنْ شَعْرِهِ حَلَقاتٌ مِنَ الذَّهَبِ. وَقَدَّمَ لَنَا القَوْمُ أُرْزًا وَدَجاجًا وَسُكَّرًا وَقَصَبًا وَفَواكِهَ وَقَرَنْفُلًا، فَاكَلْنَا أَكْلَةً هَنِيئَةً فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ.

وَضْعُ التَّاجِ عَلَى رَأْسِي

وَقَدْ شَاهَدْنَا بِاللَّيْلِ، ظَاهِرَةً غَرِيبَةً فِي أَشْجَارِ تِلْكَ الجَزَائِرِ، ذَلِكَ أَنَّ دِيدَانًا مُضِيئَةً لَا يَزِيدُ حَجْمُهَا عَلَى حَجْمِ الذُّبَابِ، كَانَتْ تَطِيرُ بِاسْتِمْرَارٍ بَيْنَ أَغْصَانِ الأَشْجَارِ، وَكَانَ يَنْبَعِثُ مِنْهَا ضَوْءٌ بَرَّاقٌ، يُضِيءُ الفَضَاءَ.

وَبَعْدَ أَنْ غَادَرْنَا تِلْكَ الجَزَائِرَ ارْتَطَمَتْ إِحْدَى سُفُنِي بِصَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ، فَتَعَطَّلَ سَيْرُنَا يَوْمًا كَامِلًا، وَاضْطُرِرْنَا لِتَخْفِيفِ حُمُولَةِ السَّفِينَةِ، فَقَذَفْنَا فِي البَحْرِ ثَلَاثَةَ أَطْنَانٍ مِنَ القَرَنْفُلِ وَثَمَانِيَةَ مَدَافِعَ، وَلَمَّا تَغَيَّرَ مَجْرَى الرِّيَاحِ، اسْتَطَعْنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْ مَأْزِقِنَا هٰذَا وَنَعُودَ إِلَى مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ.

وَمَرَرْنَا عَلَى عِدَّةِ جُزُرٍ بَعْدَ هٰذَا، مِنْهَا جَزِيرَةُ جَاوَا (Java) حَيْثُ النَّاسُ طِوَالُ القَامَةِ، أَصِحَّاءُ الأَبْدَانِ يَمِيلُ عَلَيْهِمْ مَيْلٌ شَدِيدٌ إِلَى القِتَالِ، يَحْمِلُونَ خَنَاجِرَ وَسُيُوفًا مِنْ صُنْعِ أَيْدِيهِمْ.

وَفِي كُلِّ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى تِلْكَ الجَزِيرَةِ، مَنْزِلٌ يَتَنَاوَلُ فِيهِ جَمِيعُ أَهْلِ القَرْيَةِ غِذَاءَهُمْ مَرَّتَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ. فَفِي كُلِّ وَجْبَةٍ يَحْمِلُ رِجَالُ القَرْيَةِ، وَنِسَاؤُهَا وَأَطْفَالُهَا، كُلَّ مَا يُرِيدُونَ أَكْلَهُ. مِنْ فَاكِهَةٍ، وَأُرْزٍ مَسْلُوقٍ، وَدَجَاجٍ مَشْوِيٍّ إِلَى مَنْزِلِ القَرْيَةِ هٰذَا، حَيْثُ يَضَعُونَهَا عَلَى مَائِدَةٍ كَبِيرَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَنِ الأَرْضِ بِمِقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَقْدَامٍ ثُمَّ

يجلسون جميعاً ، جنباً إلى جنب ، يا كلون ويتسامرون . وغادرنا جاقا ، فوصلنا إلى رأس الرجاء الصالح في ١٨ يونيه سنة ١٥٨٠ . وهذا الرأس ، يعتبر بحق ، أجمل ما رأيت في رحلتي كلها .

ثم واصلنا السير إلى «سيرا ليونا» (غرب إفريقية) حيث وجدنا خيرات كثيرة ، وفيلة لا حصر لها ، وأشجاراً ينمو عليها ما يشبه (ام الخلول) .

وفي ٣ نوفمبر سنة ١٥٨٠ وصلنا إلى إنجلترا ، بعد أن غبنا عنها ثلاثة أعوام تقريباً وكانت رحلتنا هذه ثاني رحلة حول العالم .

أما الأولى فهي التي قام بها ماجلان الذي قتل في جزائر الفلبين ولم يعد ؟

للتسليه — حل مسائل العدد الماضى

٢ — رتب السارق «البرطمانات» في الحالتين ، بالنظام الذي تراه في الشكلين .

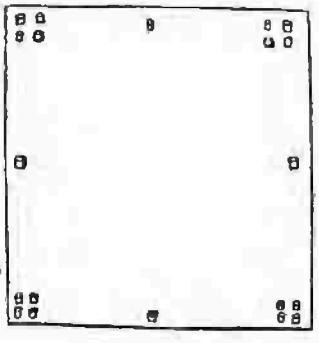

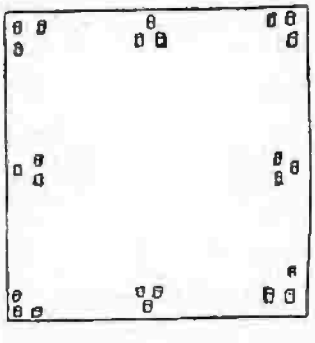

٣ — مسابقة الكلمات المتقاطعة :

الكلمات الافقيه : ١ — سن ٣ — فم ٥ — درع ٧ — باع ٨ — يشتهر ٩ — أولون ١١ — أمن ١٢ — لان ١٤ — مرّ ١٥ — لم

الكلمات الرأسية : ١ — سد ٢ — نرى ٣ — فأر ٤ — مع ٦ — عشرون ٧ — بهلول ٩ — أمر ١٠ — نال ١١ — أم ١٣ — نم